كفاية الله لنبيه عيسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة موضوعية

إعداد

د. فهد بن فرج أحمد الجهني

الأستاذ المشارك ، قسم القرآن وعلومه ، كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

كفاية الله لنبيه عيسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة موضوعية

فهد بن فرج أحمد الجهني
قسم القرآن وعلومه- كلية أصول الدين-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – السعودية
البريد الإلكتروني : ffrfaei@imamu.edu.sa

الملخص :

البحث دراسة موضوعية للآيات التي تحدثت عن كفاية الله لعيسى – عليه السلام – منذ ولادته وحتى دعوته ورفعه، وتكمن أهمية الموضوع ارتباطه بعقيدة التوكل على الله تعالى وبيان رعايته لأوليائه وأنبيائه، وارتباط الموضوع بنبي من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام. ويجيب البحث عن أسئلة هي، ما الآيات التي تحدثت عن كفاية الله – عليه السلام – وما المعاني التفسيرية لهذه الآيات؟ وما الأسباب التي كفى الله بها نبيه عيسى – عليه السلام – وما معاني التوكل والثقة بالله تعالى في هذه الآيات؟ ويهدف البحث إلى جمع الآيات التي تحدثت عن كفاية الله لعيسى– عليه السلام – عليه السلام – ودراسة هذه الآيات دراسة موضوعية. وبيان الأسباب التي كفى الله بها نبيه عيسى – عليه السلام – وتوصل الباحث إلى نتائج من أهمها: أن كفاية الله تعالى لأنبيائه وأوليائه، لها حكم كثيرة، منها: لطفه بأنبيائه وأوليائه. ومنها: إتمام أمره في تبليغهم لدينه وشرعه، لا يتم ذلك إلا بتلك الكفاية. وأن كفاية الله عباده تكون بتحقيق ما يحتاجون ويضطرون إليه. وأن كفاية الله تعالى تستلزم اليقين والتوكل على الله جل وعلا وتستلزم عدم الخوف من الشيطان وأوليائه وحزبه. وأن الله تعالى كفى نبيه عيسى – عليه السلام – بأنواع من الكفايات منها: كفايته وأمه من البهتان العظيم بعد ولادته، وكفايته بالبيانات، وكفايته له بروح القدس وبالأنصار، وكفايته له بالوجاهة وعظم القدر، وكفايته له بالحفظ من الكيد والقتل، وكفايته له بالرفع والتطهير.

الكلمات المفتاحية: كفاية الله– عيسى عليه السلام – التوكل على الله

God's Sufficiency for His Prophet Jesus, peace be upon him, in the Holy Quran: An Objective Study

Fahd bin Faraj Ahmed Al-Jahni

Department of the Quran and its Sciences - College of Fundamentals of Religion - Imam Muhammad bin Saud Islamic University - Saudi Arabia

E-mail: ffrfaei@imamu.edu.sa

Abstract:

The research is an objective study of the verses that spoke about God's sufficiency for Jesus - peace be upon him - from his birth until his call and ascension. The importance of the topic lies in its connection to the doctrine of trust in God Almighty and the statement of His care for His saints and prophets, and the connection of the topic to one of God's prophets, peace and blessings be upon them. The research answers the following questions: What are the verses that spoke about God's sufficiency - peace be upon him - and what are the interpretive meanings of these verses? What are the reasons for which God sufficed His Prophet Jesus - peace be upon him - and what are the meanings of trust and confidence in God Almighty in these verses? The research aims to collect the verses that spoke about God's sufficiency for Jesus - peace be upon him - and study these verses objectively. And explaining the reasons by which Allah sufficed His Prophet Jesus - peace be upon him - and the researcher reached the results, the most important of which are: that Allah's sufficiency for His prophets and saints has many rulings, including: His kindness to His prophets and saints. And among them: Completing His command in conveying His religion and law to them, this is not accomplished except by that sufficiency. And that Allah's sufficiency for His servants is by fulfilling what they need and are compelled to. And that Allah's sufficiency necessitates certainty and trust in Allah, the Most High, and necessitates not fearing Satan and his saints and his party. And that Allah sufficed His Prophet Jesus - peace be upon him - with types of sufficiency, including: His sufficiency for him and his mother from the great slander after his birth, and His sufficiency with the statements, and His sufficiency for him with the Holy Spirit and the supporters, and His sufficiency for him with prestige and great status, and His sufficiency for him with protection from plotting and killing, and His sufficiency for him with elevation and purification.

Keywords: Allah's sufficiency - Jesus - trust in Allah

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء: ٩ – ١٠] فإنَّ القرآن حق، ولازم الحق حق، وما يتوقف على الحق حق، وما يتفرع عن الحق حق، ذلك كله حق ولابد. وعلى المفسر للقرآن أن يراعي ما دلت عليه ألفاظه مطابقة، وما دخل في ضمنها، فعليه أن يراعي لوازم تلك المعاني، وقد أجمع العلماء على الاستدلال باللوازم في كلام الله لهذا السبب(١).

وإن من آيات الله الدالة على قدرته وعظمته، خلق عيسى عليه السلام بلا أب، وجعله وأمه آية للعالمين، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩١] وقد ذكر الله قصة حمل مريم لعيسى عليه السلام في أكثر من موضع في كتابه العزيز، وسمّى الله سورة في كتابه باسمها.

ومن الآيات التي اعتنت بذكر نبي الله عيسى تلك الآيات التي تحدثت عن كفاية الله تعالى له وقد تأملت هذه الآيات فوجدتها متنوعة المعاني والدلالة، مبرزة للتوكل والهداية، فعزمت على إبراز هذا الموضوع ببحث سميته:

[كفاية الله لنبيه عيسى عليه السلام في القرآن الكريم– دراسة موضوعية]

وفيما يلي بيان لحدود البحث، وأهميته، وأسئلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن: (ص: ٣٢) بتصرف.

أولًا: حدود البحث:

البحث دراسة موضوعية للآيات التي تحدثت عن كفاية الله لعيسى عليه السلام منذ ولادته وحتى دعوته ورفعه.

ثانيًا: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١– ارتباط الموضوع بعقيدة التوكل على الله تعالى، وبيان رعاية الله لأوليائه وأنبيائه.

٢– ارتباط الموضوع بنبي من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام وهو نبي الله عيسى عليه السلام، وقد أمرنا بالاهتداء والاقتداء بهم.

٣– وجود لطائف قرآنية دعوية مهمة في الآيات التي تتحدث عن كفاية الله لعيسى عليه السلام يستفيد منها المسلم والداعي إلى الله خصوصًا.

ثالثًا: أسئلة البحث:

١– ما الآيات التي تحدثت عن كفاية الله لعيسى عليه السلام؟

٢– ما المعاني التفسيرية لهذه الآيات؟

٣– ما الأسباب التي كفى الله بها نبيه عيسى عليه السلام؟

٤– ما معاني التوكل والثقة بالله تعالى في هذه الآيات؟

رابعًا: أهداف البحث:

١– جمع الآيات التي تحدثت عن كفاية الله لعيسى عليه السلام.

٢– دراسة هذه الآيات دراسة موضوعية.

٣– بيان الأسباب التي كفى الله بها نبيه عيسى عليه السلام؟

٤– إبراز معاني التوكل والثقة بالله تعالى، ورعايته لأوليائه في هذه الآيات.

خامسًا: الدراسات السابقة:

بعد البحث والنظر في المواقع المختلفة بشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، وفي قواعد البيانات المختلفة، والمكتبات العامة، تبين لي أنَّ هذا الموضوع لم يدرس من قبل، وأنَّه بحاجة إلى خدمة ودراسة.

أمَّا الدراسات السابقة التي يحسن ذكرها وبيان الفرق بينها وبين موضوع بحثي كما يلي:

١- عيسى عليه الصلاة والسلام المؤلف: اليماني، محمد علي سعيد المصدر: مجلة رابطة العالم الإسلامي، مج ٣، ع ٤ الناشر: رابطة العالم الإسلامي تاريخ: ١٩٦٥نوع المحتوى: بحوث ومقالات الصفحات: ٦١ – ٦٣.

٢- معجزات عيسى عليه السلام المؤلف: المختار، أحمد المصدر: مجلة منار الإسلام، س ٣٩، ع ٤٦٢ الناشر: الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف تاريخ: ٢٠١٣ نوع المحتوى: بحوث ومقالات الصفحات: ٥٨ – ٦١.

٣- بشرية عيسى عليه السلام (١) المؤلف: هلال، إبراهيم إبراهيم المصدر: التوحيد، س ٤، ع ١٠ الناشر: جماعة أنصار السنة المحمدية تاريخ: ١٩٧٦ نوع المحتوى: بحوث ومقالات الصفحات: ١٩ – ٢١.

٤- بشرية عيسى عليه السلام (٢) المؤلف: هلال، إبراهيم إبراهيم المصدر: التوحيد، س ٤، ع ١١ الناشر: جماعة أنصار السنة المحمدية تاريخ: ١٩٧٦ نوع المحتوى: بحوث ومقالات الصفحات: ٢٢ – ٢٥.

٥- عيسى عليه السلام في القرآن المؤلف: مفسر، سليمان المصدر: بيادر، ع ٥ الناشر: نادي أبها الأدبي تاريخ: ١٩٩١ نوع المحتوى: عروض كتب الصفحات: ١٦١ – ١٦٥.

٦- عقيدة رفع عيسى عليه السلام: دراسة تحليلية عقدية المؤلف: حقي، أحمد معاذ بن علوان المصدر: مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، مج٩، ع٣

الناشر: جامعة الشارقة تاريخ: ٢٠١٢ نوع المحتوى: بحوث ومقالات الصفحات: ١ – ٣٠.

٧- النظم القرآني في قصة عيسي علية السلام المؤلف: بني سعيد، علي محمد عقله تاريخ: ٢٠١٦ الدرجة العلمية: رسالة دكتوراه الجامعة: جامعة العلوم الإسلامية العالمي

٨- عيسى عليه السلام في القرآن المؤلف: مفسر، سليمان المصدر: بيادر، ع ٥ الناشر: نادي أبها الأدبي تاريخ: ١٩٩١ نوع المحتوى: عروض كتب الصفحات: ١٦١ – ١٦٥

٩- عيسى ابن مريم عليه السلام في القرآن الكريم المؤلف: السامدي، مصلح بن عبدالكريم تاريخ: ١٩٩٥ الدرجة العلمية: رسالة دكتوراه الجامعة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٠- الآيات الدالة على نزول المسيح عيسى عليه السلام المؤلف: الظفيري، بدر بن مقبل المصدر: مجلة الدراسات العقدية، مج ٥، ع ١١ الناشر: الجامعة الإسلامية – كلية الدعوة وأصول الدين – الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب تاريخ: ٢٠١٣ نوع المحتوى: بحوث ومقالات الصفحات: ١٩٣ – ٢٥٣.

١١- بلاغة الحجاج القرآني في قصة عيسى عليه السلام المؤلف: الشناوي، وديدة عبدالظاهر السيد المصدر: مجلة الزهراء، ع٢٧ الناشر: جامعة الأزهر – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة تاريخ: ٢٠١٧ نوع المحتوى: بحوث ومقالات الصفحات: ١١٦٧ – ١٢١٨.

١٢- دعوة عيسى عليه السلام في الكتاب والسنة المؤلف: العيد، سليمان بن قاسم المصدر: مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع ٤٣ الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – عمادة البحث العلمي تاريخ: ٢٠٠٤ نوع المحتوى: بحوث ومقالات الصفحات: ٩٦ – ١٦٢.

١٣- سياقات الكفاية بالله في القرآن الكريم المؤلف: الغامدي، فهد بن سالم رافع المصدر: مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية، ع١٦ الناشر: جامعة الباحة تاريخ: ٢٠١٨ نوع المحتوى: بحوث ومقالات الصفحات: ١٠ - ٣٤.

الفرق بين هذه الدراسات ودراستي:

أن هذه الدراسات تحدثت عن نبي الله عيسى عليه السلام من نواحي متعددة - غير ما اختص به موضوع دراستي- وبحثي اختص بإبراز موضوع كفاية الله لعيسى عليه السلام في دراسة موضوعية.

خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث على النحو التالي:

المقدمة: وتتضمن: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وحدود البحث، وأسئلة البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، والجديد الذي ستقدمه الدراسة، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: وفيه مطلبان:

أولًا: حمل مريم بعيسى عليه السلام.

ثانيًا: تعريف الكفاية لغة واصطلاحًا.

المبحث الأول: كفايته وأمه من البهتان العظيم بعد ولادته.

المبحث الثاني: كفايته بالبيانات.

المبحث الثالث: كفايته له بروح القدس وبالأنصار.

المبحث الرابع: كفايته له بالوجاهة وعظم القدر.

المبحث الخامس: كفايته له بالحفظ من الكيد والقتل وبالرفع والتطهير.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج التحليلي والاستقرائي، وذلك وفق ما يلي:

١- دراسة الآيات التي تحدثت عن كفاية الله لنبيه عيسى عليه السلام، واستخراج ما يمت للموضوع بصلة، إما وصفًا، أو بيانًا، وسواء كانت الدلالة ظاهرة، أو تضمنًا، أو لزومًا.

٢- الرجوع إلى كلام العلماء والمفسرين في بيان الموضوع وإيضاحه.

٣- الرجوع إلى المصادر القديمة الأصيلة، والمراجع الحديثة التي لها علاقة بالموضوع.

٤- اعتمدت في تفسير الآيات على مصادر موثوقة، وتركت الرجوع لكتب المبتدعة وتفاسير أهل الأهواء؛ لأنَّ القصد إظهار التفسير الصحيح للآيات.

٥- كتابة الآيات بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم، وترقيم الآيات، وعزوها إلى السور الواقعة فيها.

٦- أخرج الأحاديث والآثار الواردة في البحث، من مصادرها الأصلية، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما يُكتفى بذلك، وإن كان في غيرهما أُحقق صحته باستخدام منهج البحث في دراسة الأسانيد، وقد يُكتفى ببيان درجته عن طريق نقل كلام العلماء المعتبرين في الحكم عليه.

٧- توثيق النقل وعزوه إلى من نُقل عنه.

٨- لا أترجم للأعلام؛ لما تقتضيه طبيعة البحث من الاختصار.

٩- وضع خاتمة تتضمن أهم النتائج التي يتوصل إليها من خلال البحث.

التمهيد:

أولًا: حمل مريم بعيسى عليه السلام:

قال السعدي – رحمه الله : "لما ذكر قصة زكريا ويحيى، وكانت من الآيات العجيبة، انتقل منها إلى ما هو أعجب منها، تدريجًا من الأدنى إلى الأعلى فقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الكريم ﴿مَرۡيَمَ﴾ عليها السلام، وهذا من أعظم فضائلها، أن تذكر في الكتاب العظيم، الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، تذكر فيه بأحسن الذكر، وأفضل الثناء، جزاء لعملها الفاضل، وسعيها الكامل، أي: واذكر في الكتاب مريم، في حالها الحسنة، حين ﴿ٱنتَبَذَتۡ﴾، أي: تباعدت عن أهلها ﴿مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾، أي: مما يلي الشرق عنهم.

﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾، أي: سترًا ومانعًا، وهذا التباعد منها، واتخاذ الحجاب، لتعتزل، وتنفرد بعبادة ربها، وتقنت له في حالة الإخلاص والخضوع والذل لله تعالى، وذلك امتثال منها لقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [آل عمران : ٤٢ – ٤٣] وهو جبريل عليه السلام ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ [مريم: ١٧]أي كاملا من الرجال في صورة جميلة، وهيئة حسنة لا عيب فيه ولا نقص، لكونها لا تحتمل رؤيته على ما هو عليه، فلما رأته في هذه الحال وهي معتزلة عن أهلها، منفردة عن الناس، قد اتخذت الحجاب عن أعز الناس عليها وهم أهلها، خافت أن يكون رجلا قد تعرض لها بسوء وطمع فيها، فاعتصمت بربها واستعاذت منه، فقالت له ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ﴾ أي: ألتجئ به وأعتصم برحمته أن تنالني بسوء ﴿إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾

أي إن كنت تخاف الله وتعمل بتقواه، فاترك التعرض لي، فجمعت بين الاعتصام بربها، وبين تخويفه وترهيبه وأمره بلزوم التقوى، وهي في تلك الحالة الخالية والشباب والبعد عن الناس، وهو في ذلك الجمال الباهر والبشرية الكاملة السوية، ولم ينطق لها بسوء أو يتعرض لها وإنما ذلك خوف منها وهذا أبلغ ما يكون من العفة والبعد عن الشر وأسبابه.

وهذه العفة – خصوصا مع اجتماع الدواعي وعدم المانع – من أفضل الأعمال؛ ولذلك أثنى الله عليها فقال: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم: ١٢] ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩١] فأعاضها الله بعفتها ولدا من آيات الله ورسولا من رسله، فلما رأى جبريل منها الروع والخيفة قال ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ أي إنما وظيفتي وشغلي تنفيذ رسالة ربي فيك ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ وهذه بشارة عظيمة بالولد وزكائه فإن الزكاء يستلزم تطهيره من الخصال الذميمة واتصافه بالخصال الحميدة فتعجبت من وجود الولد من غير أب فقالت ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ والولد لا يوجد إلا بذلك؟

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ تدل على كمال قدرة الله تعالى وعلى أن الأسباب جميعها لا تستقل بالتأثير وإنما تأثيرها بتقدير الله فيري عباده خرق العوائد في بعض الأسباب العادية لئلا يقفوا مع الأسباب ويقطعوا النظر عن مقدرها ومسببها ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ ﴾ أي: ولنجعله رحمة

منا به وبوالدته وبالناس.

أمَّا رحمة الله به فلما خصه الله بوحيه ومنّ عليه بما منّ به على أولي العزم، وأما رحمته بوالدته فلما حصل لها من الفخر والثناء الحسن والمنافع العظيمة وأما رحمته بالناس فإن أكبر نعمه عليهم أن بعث فيهم رسولا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فيؤمنون به ويطيعونه وتحصل لهم سعادة الدنيا والآخرة ﴿وَكَانَ أَمْرًا﴾ أي وجود عيسى عليه السلام على هذه الحالة ﴿مَّقْضِيًّا﴾ قضاء سابقا فلا بد من نفوذ هذا التقدير والقضاء فنفخ جبريل عليه السلام في جيبها" [1].

وقد أخبر الله بكفايته لعبده فقال سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] وكف الله نبيه عيسى عليه السلام من بني إسرائيل كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠] ولم يبين في هذه الآية عن كيفية كفايته له، وذكرها في مواضع أخرى من كتابه الحميد بما يبين الموضوع ويجليه.

* * *

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٩١).

ثانيًا: تعريف الكفاية لغة واصطلاحا

الكفاية لغة قال ابن فارس: "الكاف والفاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على الحسب الذي لا مستزاد فيه. يقال: كفاك الشيء يكفيك. وقد كفى كفاية، إذا قام بالأمر. والكفية: القوت الكافي، والجمع كفى. ويقال حسبك زيد من رجل، وكافيك"(١).

وقال ابن منظور: "كفى يكفي كفاية إذا قام بالأمر. ويقال: استكفيته أمرًا فكفانيه. ويقال: كفاك هذا الأمر أي حسبك، وكفاك هذا الشيء. وفي الحديث: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»(٢).

أي أغنتاه عن قيام الليل، وقيل: إنهما أقل ما يجزئ من القراءة في قيام الليل، وقيل: تكفيان الشر وتقيان من المكروه.(٣)

وقال أبو العباس الحموي: "كفى الشيء يكفي كفاية فهو كاف إذا حصل به الاستغناء عن غيره واكتفيت بالشيء استغنيت به أو قنعت به (٤).

فيدور معناه في اللغة حول الاستغناء والكفاية (٥).

الكفاية اصطلاحا: قال ابن عاشور ¯ رحمه الله – : "الكفاية تولي الكافي مهم المكفي، فالكافي هو متولي عمل عن غيره لأنه أقدر عليه أو لأنه يبتغي راحة المكفى. يقال: كفيت مهمك، فيتعدى الفعل إلى مفعولين ثانيهما هو المهم المكفي منه. فالأصل أن يكون مصدرا فإذا كان اسم ذات فالمراد أحواله التي يدل عليها المقام، فإذا قلت: كفيتك عدوك، فالمراد: كفيتك بأسه، وإذا قلت: كفيتك

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٨٨).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٨٨)، وصحيح مسلم (١/ ٥٥٥).

(٣) لسان العرب (١٥/ ٢٢٥).

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٥٣٧).

(٥) انظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام (١/ ٣٩٩).

غريمك، فالمراد: كفيتك مطالبته"[١].

وقال الراغب: "الكِفَايَةُ: ما فيه سدّ الخلّة وبلوغ المراد في الأمر"[٢].

وبما أن الموضوع متعلق بكفاية الله سبحانه لنبيه عيسى عليه السلام، فإن الله تعالى يوصف بأنَّه كاف عباده ما يحتاجون إليه، فهي صفة ثابتة بالكتاب والسنة، أمَّا الكتاب فقوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ الحجر: ٩٥وغيرها من الآيات، وأمَّا من السنة فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، كان إذا أوى إلى فراشه، قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»[٣].

ومعنى الكفاية في حق الله تعالى فقد ذكرها أهل العلم بما يبين المراد منها بأوضح بيان.

فقال الخطابي: "الكافي: فهو الذي يكفي عباده المهم، ويدفع عنهم الملم؛ وهو الذي يكتفى بمعونته عن غيره، ويستغنى به عمن سواه"[٤].

وقال السعدي – رحمه الله – : "الكافي" عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه، الكافي كفاية خاصة من آمن به، وتوكل عليه، واستمد منه حوائج دينه ودنياه"[٥].

* * *

(١) التحرير والتنوير (١٤/ ٨٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٧١٩).

(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٨٥).

(٤) شأن الدعاء (١/ ١٠١).

(٥) تفسير السعدي (ص: ٩٤٩).

المبحث الأول: كفايته وأمه من البهتان العظيم بعد ولادته.

لما حملت بعيسى عليه السلام، خافت من الفضيحة، فتباعدت عن الناس ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ فلما قرب ولادها، ألجأها المخاض إلى جذع نخلة، فلما آلمها وجع الولادة، ووجع الانفراد عن الطعام والشراب، ووجع قلبها من قالة الناس، وخافت عدم صبرها، تمنت أنها ماتت قبل هذا الحادث، وكانت نسيا منسيا فلا تذكر. وهذا التمني بناء على ذلك المزعج، وليس في هذه الأمنية خير لها ولا مصلحة، وإنما الخير والمصلحة بتقدير ما حصل.

فحينئذ سكن الملك روعها وثبت جأشها وناداها من تحتها [(١)]، لعله في مكان أنزل من مكانها، وقال لها: لا تحزني، أي: لا تجزعي ولا تهتمي، فـ ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ أي: نهرا تشربين منه: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ أي: طريا لذيذا نافعًا.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾. ﴿فَكُلِي﴾ من التمر، ﴿وَاشْرَبِي﴾ من النهر ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بعيسى، فهذا طمأنينتها من جهة السلامة من ألم الولادة، وحصول المأكل والمشرب والهني [(٢)].

قال الشينقيطي – رحمه الله – : "الذي يفهم من الآيات القرآنية أنَّ مرادهم

---

(١) قال السمين الحلبي – رحمه الله – في الدر المصون (٧/ ٥٨٣): "قرأ الأخَوَان ونافع وحفص بكسر ميم «مِنْ»، وجَرَّ «تحتِها» على الجار والمجرور. والباقون بفتحها ونصب «تحتَها». فالقراءةُ الأولى تقتضي أن يكونَ الفاعلُ في «نادَى» مضمراً وفيه تأويلان، أحدهما: هو جبريل ومعنى كونِه ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ أنه في مكانٍ أسفلَ منها. ويَدُل على ذلك قراءةُ ابنِ عباس «فناداها مَلَكٌ مِنْ تحتها: فَصَرَّح به. و ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ على هذا فيه وجهان أحدهما: أنه متعلقٌ بالنداء، أي: جاء النداء مِنْ هذه الجهةِ. والثاني: أنه حالٌ من الفاعل، أي: فناداها وهو تحتَها. وثاني التأويلين: أنَّ الضمير لعيسى، لأي: فناداها المولودُ مِنْ تحت ذَيْلها. والجارُّ فيه الوجهان: مِنْ كونِه متعلِّقاً بالنداء، أو بمحذوفٍ على أنه حالٌ. والثاني أوضح. والقراءةُ الثانية: تكون فيها» مَنْ «موصولةً، والظرفُ صلتُها، والمرادُ بالموصولِ: إمَّا جبريلُ، وإمَّا عيسى".

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٩٢).

بقولهم لقد جئت شيئا فريا، أي: منكرًا عظيما؛ لأن «الفري» فعيل من الفرية، يعنون به الزنى ; لأن ولد الزنى كالشيء المفترى المختلق؛ لأنَّ الزانية تدعي إلحاقه بمن ليس أباه، ويدل على أن مرادهم بقولهم «فريّا» الزنى. قوله تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٦] ؛ لأن ذلك البهتان العظيم الذي هو ادعاؤهم أنها زنت، وجاءت بعيسى من ذلك الزنى، حاشاها وحاشاه من ذلك، هو المراد بقولهم لها: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ [مريم: ٢٧] ، ويدل لذلك قوله تعالى بعده: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم: ٢٨] ، والبغي الزانية كما تقدم، يعنون كان أبواك عفيفين لا يفعلان الفاحشة، فما لك أنت ترتكبينها! ومما يدل على أن ولد الزنى كالشيء المفترى قوله تعالى: ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، قال بعض العلماء: معنى قوله تعالى: ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، أي: ولا يأتين بولد زنى يقصدن إلحاقه برجل ليس أباه، هذا هو الظاهر الذي دل عليه القرآن في معنى الآية"[(١)].

قال السعدي رحمة الله: "وأمَّا من جهة قالة الناس، فأمرها أنها إذا رأت أحدا من البشر، أن تقول على وجه الإشارة: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: سكوتا ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ أي: لا تخاطبيهم بكلام، لتستريحي من قولهم وكلامهم. وكان معروفا عندهم أن السكوت من العبادات المشروعة، وإنما لم تؤمر بخطابهم في نفي ذلك عن نفسها لأن الناس لا يصدقونها، ولا فيه فائدة، وليكون تبرئتها بكلام عيسى في المهد، أعظم شاهد على براءتها، فإن إتيان المرأة بولد من دون زوج، ودعواها أنه من غير أحد، من أكبر الدعاوى، التي لو أقيم عدة من الشهود،

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٤١٣).

لم تصدق بذلك، فجعلت بينة هذا الخارق للعادة، أمرا من جنسه، وهو كلام عيسى في حال صغره جدا.

فلما تعلت مريم من نفاسها، أتت بعيسى قومها تحمله، وذلك لعلمها ببراءة نفسها وطهارتها، فأتت غير مبالية ولا مكترثة، فقالوا: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي: عظيما وخيما، وأرادوا بذلك البغاء حاشاها من ذلك.

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ الظاهر، أنه أخ لها حقيقي، فنسبوها إليه، وكانوا يسمون بأسماء الأنبياء وليس هو هارون بن عمران أخا موسى، لأن بينهما قرونا كثيرة ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ أي: لم يكن أبواك إلا صالحين سالمين من الشر، وخصوصا هذا الشر، الذي يشيرون إليه، وقصدهم: فكيف كنت على غير وصفهما؟ وأتيت بما لم يأتيا به؟. وذلك أن الذرية – في الغالب – بعضها من بعض، في الصلاح وضده، فتعجبوا – بحسب ما قام بقلوبهم – كيف وقع منها، فأشارت لهم إليه، أي: كلموه.

وإنما أشارت لذلك، لأنها أمرت عند مخاطبة الناس لها، أن، تقول: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ فلما أشارت إليهم بتكليمه، تعجبوا من ذلك وقالوا: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ لأن ذلك لم تجر به عادة، ولا حصل من أحد في ذلك السن..

فحينئذ قال عيسى عليه السلام، وهو في المهد صبي: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ فخاطبهم بوصفه بالعبودية، وأنه ليس فيه صفة يستحق بها أن يكون إلها، أو ابنا للإله، تعالى الله عن قول النصارى المخالفين لعيسى في قوله ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ومدعون موافقته.

﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ أي: قضى أن يؤتيني الكتب ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ فأخبرهم بأنه عبد الله، وأن الله علمه الكتاب، وجعله من جملة أنبيائه، فهذا من كماله لنفسه، ثم ذكر تكميله لغيره فقال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أي: في أي: مكان، وأي:

زمان، فالبركة جعلها الله فيَّ من تعليم الخير والدعوة إليه، والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، فكل من جالسه، أو اجتمع به، نالته بركته، وسعد به مصاحبه [١].

فانظر كيف كف الله عنه وعن أمه كيدهم، ورميهم لهما بالبهتان العظيم، وأنطق الله عيسى عليه السلام في مهده ليكون حجة ظاهرة وبرهان ساطع على كرم الله لهما وعلى طهارتهما.

قال الطبري ـ رحمه الله – : "عن ابن زيد لما قال عيسى لمريم[٢] ﴿لا تحزني﴾ [القصص: ٧] قالت: وكيف لا أحزن وأنت معي، لا ذات زوج ولا مملوكة، أي شيء عذري عند الناس ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٣]، فقال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦]، قال: هذا كله كلام عيسى لأمه"[٣].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٩٢).

(٢) رجح الطبري – رحمه الله – فقال: وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال: الذي ناداها ابنها عيسى، وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل، فرده على الذي هو أقرب إليه أولى من رده على الذي هو أبعد منه، ألا ترى في سياق قوله ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم: ٢٢] يعني به: فحملت عيسى فانتبذت به، ثم قيل: فناداها نسقا على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه، ولعلة أخرى، وهي قوله: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ [مريم: ٢٩] ولم تشر إليه إن شاء الله إلا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك، وللذي كانت قد عرفت ووثقت به منه بمخاطبته إياها بقوله لها: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ وما أخبر الله عنه أنه قال لها أشيري للقوم إليه، ولو كان ذلك قولا من جبرائيل، لكان خليقا أن يكون في ظاهر الخبر، مبينا أن عيسى سينطق ويحتج عنها للقوم، وأمر منه لها بأن تشير إليه للقوم إذا سألوها عن حالها وحاله. فإذا كان ذلك هو الصواب من التأويل الذي بينا، فبين أن كلتا القراءتين أعني ﴿من تحتها﴾ [البقرة: ٢٥] بالكسر، «ومَن تحتها» بالفتح صواب. وذلك أنه إذا قرئ بالكسر كان في قوله ﴿فناداها﴾ [مريم: ٢٤] ذكر من عيسى: وإذا قرئ (من تحتها) بالفتح كان الفعل لمن وهو عيسى. فتأويل الكلام إذن: فناداها المولود من تحتها ألا تحزني يا أمه ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾. تفسير الطبري (١٥/ ٥٠٤– ٥٠٥) ووجهه أيضا الشنقيطي في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٣٩٤).

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٥١٨)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٢٢٦).

المبحث الثاني: كفايته بالبيانات.

بعث الله نبيه عيسى عليه السلام إلى قومه رسولًا نبيًا وأيده الله وكفاه بما أعطاه من البيانات، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠] قال ابن كثير – رحمه الله – : "واذكر نعمتي عليك في كفي إياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله إليهم، فكذبوك واتهموك بأنك ساح"(١).

وقد أورد ابن أبي حاتم –رحمه الله – بسنده: عن ابن عباس رضي الله عنه: "﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾، أي: الآيات التي وضع على يديه، من إحياء الموتى وخلقه من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وإبراء الأسقام والخبر بكثير من الغيوب مما يدخرون في بيوتهم، ومارد عليهم من التوراة مع الإنجيل الذي أحدث إليه"(٢).

وقال ابن عاشور –رحمه الله –: "وهذا من أعظم النعم، وهي نعمة العصمة من الإهانة فقد كف الله عنه بني إسرائيل سنين، وهو يدعو إلى الدين بين ظهرانيهم مع حقدهم وقلة أنصاره، فصرفهم الله عن ضره حتى أدى الرسالة"(٣).

فأعطى الله نبيه عليه الصلاة والسلام آيات ومعجزات باهرة تدل على صدقه، وهي من دلائل نبوته ورسالته كما قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٤).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٨٣) .
(٣) التحرير والتنوير (٧/ ١٠٢).

طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٩]

فمن ذلكم الخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه الروح فيكون طيرًا بإذن الله، وإبراء الأكمه وهو كما قال الطبري ¯رحمه الله – : "الأعمى الذي لا يبصر شيئًا لا ليلًا ولا نهارًا، وهو بما قال قتادة: "من أنه المولود كذلك أشبه ؛ لأن علاج مثل ذلك لا يدعيه أحد من البشر، إلا من أعطاه الله مثل الذي أعطى عيسى"(١).

فكان عيسى عليه السلام يرد إليه بصره بإذن الله، وكذا البرص وهو المرض المعروف.

قال السمعاني ¯رحمه الله – عنه: ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾ : الذي به وضح"(٢).

وعن سبب تخصيص الخالق سبحانه لهذين المرضين عن سائر الأمراض والأوبئة، فقد ذكر البغوي ¯رحمه الله – تعالى السبب فقال في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ أي أشفيهما وأصحهما، واختلفوا في الأكمه، قال ابن عباس وقتادة: هو الذي ولد أعمى، وقال الحسن والسدي: هو الأعمى. وقال عكرمة: هو الأعمش. وقال مجاهد: هو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل، ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾ الذي به وضح، وإنما خص هذين لأنهما داءان عياءان، وكان الغالب في زمن عيسى عليه السلام الطب، فأراهم المعجزة من جنس ذلك(٣).

وكذا من البيانات إحياء الموتى: وكان إحياء عيسى الموتى بدعاء الله،

(١) تفسير الطبري (٥/ ٤٢٤).
(٢) تفسير السمعاني (١/ ٣٢١) .
(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٣) .

يدعو لهم، فيستجيب له [١]. وقد قال سبحانه: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾

قال ابن كثير -رحمه الله -: "قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى، عليه السلام، السحر وتعظيم السحرة. فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من الأبرار. وأما عيسى، عليه السلام، فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه، إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة. فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه، والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد"[٢].

ومن ذلك الإخبار بالغيب الذي لا سبيل للبشر عليه إلا من اصطفاه الله وأذن له، قال تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وأنبئكم بما تأكلون أي: أخبركم بالذي تأكلونه، وبالذي تدخرونه"[٣].

قال ابن كثير -رحمه الله - "وقوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ﴾ أي: أخبركم بما أكل أحدكم الآن، وما هو مدخر له في بيته لغده ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في ذلك كله ﴿لَآيَةً لَّكُمْ﴾ أي: على صدقي فيما جئتكم به. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [٤].

(١) تفسير الطبري (٥/ ٤٢٤).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥).
(٣) فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٩٢).
(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥).

قال السعدي -رحمه الله -: "﴿ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾، وأي: آية أعظم من جعل الجماد حيوانا، وإبراء ذوي العاهات التي لا قدرة للأطباء في معالجتها، وإحياء الموتى، والإخبار بالأمور الغيبية، فكل واحدة من هذه الأمور آية عظيمة بمفردها، فكيف بها إذا اجتمعت وصدق بعضها بعضها، فإنها موجبة للإيقان وداعية للإيمان [1].

وقال أيضا: "فأيده الله بجنسين من الآيات والبراهين الخوارق المستغربة التي لا يمكن لغير الأنبياء الإتيان بها، والرسالة والدعوة، والدين الذي جاء به، وأنه دين التوراة، ودين الأنبياء السابقين، وهذا أكبر الأدلة على صدق الصادقين. فإنه لو كان من الكاذبين، لخالف ما جاءت به الرسل، ولناقضهم في أصولهم وفروعهم، فعلم بذلك أنه رسول الله، وأن ما جاء به حق لا ريب فيه"[2].

فعصم الله نبيه عيسى عليه السلام من الإهانة، وكف عنه بني إسرائيل، وصرفهم الله عن ضره حتى أدى الرسالة بما أيده به من البيانات.

(١) تفسير السعدي (ص: ١٣١).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٦٧).

المبحث الثالث: كفايته له بروح القدس وبالأنصار.

ومن كفاية الله لنبيه عيسى عليه السلام أن أعانه وأيّده وقواه بروح القدس، فقال سبحانه: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ﴾ البقرة: ٨٧قال مقاتل بن سليمان قوله: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، يَقُولُ: وقوينا عِيسَى بجبريل- عليهما السَّلام[١]. وزاد الطبري – رحمه الله –: فأعناه[٢].

وقال السعدي –رحمه الله –: أي قواه الله بروح القدس.

قال أكثر المفسرين: إنَّه جبريل عليه السلام، وقيل: إنه الإيمان الذي يؤيد الله به عباده[٣].

وقال الماوردي –رحمه الله –: "أنه جبريل عليه السلام وهو الأظهر [٤].

وقال الشنقيطي –رحمه الله –: قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ﴾ هو جبريل على الأصح، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ الآية" [٥].

قال ابن كثير –رحمه الله –: "وتأييده بروح القدس وهو جبريل عليه السلام- ما يدلهم على صدقه فيما جاءهم به، فاشتد تكذيب بني إسرائيل له، وحسدهم وعنادهم لمخالفة التوراة في البعض، كما قال تعالى إخبارا عن عيسى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ١٢١)، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٢٧٩)، وتفسير الطبري (٢/ ٢٢٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٣٧).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٢١).

(٣) انظر: تفسير السعدي (ص: ٥٨).

(٤) تفسير الماوردي (١/ ١٥٦).

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٤٠).

عمران: ٥٠]، فكانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء أسوأ المعاملة، ففريقا يكذبونه، وفريقا يقتلونه، وما ذاك إلا لأنهم يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم، وبالإلزام بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها، فلهذا كان ذلك يشق عليهم فكذبوهم، وربما قتلوا بعضهم، ولهذا قال تعالى: أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون. والدليل على أن روح القدس هو جبريل، كما نص عليه ابن مسعود في تفسير هذه الآية، وتابعه على ذلك ابن عباس ومحمد بن كعب وإسماعيل بن خالد والسدي والربيع بن أنس وعطية العوفي وقتادة مع قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥] ما قال البخاري: وقال ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن عروة عن عائشة: أن رسول الله ﷺ، وضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد، فكان ينافح عن رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ «اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك» [(١)]وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة، عن الزهري عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة: أن عمر بن الخطاب مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد، فلحظ إليه فقال: قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال أنشدك الله، أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أجب عني اللهم أيده بروح القدس» [(٢)] فقال: اللهم نعم، وفي بعض الروايات: أن رسول الله ﷺ، قال لحسان: «اهجهم– أو هاجهم– وجبريل معك»[(٣)]. وفي شعر حسان قوله:

(١) أورده مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٣٦) بلفظ (إن روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله) ولم أجده بهذا اللفظ في البخاري.

(٢) صحيح البخاري (١/ ٩٨)، وصحيح مسلم (٤/ ١٩٣٢).

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١١٢).

وجبريـــــل رســـــول الله فينـــــا وروح القـدس لـيس بـه خفـاء[١]"[٢]

قال ابن عثيمين رحمه الله : " ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ ، أي: قويناه؛ وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿بروح القدس﴾ ما المراد بها؟ فقيل: المراد بها: ما معه من العلم المطهر الآتي من عند الله؛ والعلم، أو الوحي يسمى روحاً، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]؛ وقيل: المراد بـ «روح القدس» جبريل، كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾[النحل: ١٠٢]؛ فـ «روح القدس» هو جبريل؛ أيد الله عيسى به، حيث كان يقويه في مهام أموره عندما يحتاج إلى تقوية؛ والآية صالحة للأمرين"[٣].

فالله أيد عيسى عليه السلام بجبريل عليه السلام كما في الآية: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾.

قال ابن عثيمين رحمه الله : "الملائكة من جملة تسخيرهم للخلق أنهم يؤيدون من أمَرَهم الله بتأييده؛ ولهذا قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت: "اللهم أيده بروح القدس"[٤].

فالكفاية هنا بما وهبه الله لنبيه عيسى عليه السلام من "الإيمان واليقين الذي أيده به الله وقواه على ما أمر به، وقيل أيده بجبريل عليه السلام يلازمه في أحواله"[٥].

قال السعدي رحمه الله أيضا: "وأيده بروح القدس، أي: بروح الإيمان. فجعل روحانيته فائقة روحانية غيره، فحصل له بذلك القوة والتأييد، وإن كان أصل التأييد بهذه الروح عاما لكل مؤمن، بحسب إيمانه، كما قال: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ لكن ما لعيسى أعظم مما لغيره، لهذا خصه الله بالذكر. وقيل: إن روح القدس–

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٩٣٧) أخرج شعره مسلم في صحيحه لكن بلفظ (وروح القدس ليس له كفاء).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢١).

(٣) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ٢٣٧).

(٤) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٨٦) ومر تخريج الحديث.

(٥) تفسير السعدي (ص: ١٠٩).

هنا- جبريل، أيده الله بإعانته ومؤازرته، لكن المعنى هو الأول[1]. والآية صالحة للأمرين ولا مانع من حمل الآية عليهما في المراد بروح القدس. وهذا من كفاية الله لنبيه عيسى عليه وسلم أن أيده بالأمرين جميعا.

وكذلك أيده بالأنصار فقال تعالى: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ ﴾ آل عمران: ٥٢ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾ الصف: ١٤

أورد ابن أبي حاتم بسنده عن الحسن قوله: من أنصاري إلى الله فقال: استنصره فنصره الحواريون، فظهر عليهم [2].

قال ابن كثير رحمه الله : "عيسى ابن مريم، انتدب له طائفة من بني إسرائيل فآمنوا به وآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه. ولهذا قال تعالى مخبرا عنهم: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ الحواريون، قيل: كانوا قصارين وقيل: سموا بذلك لبياض ثيابهم، وقيل: صيادين.

والصحيح أن الحواري الناصر، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما ندب الناس يوم الأحزاب، فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير (ثم ندبهم فانتدب الزبير) فقال: "إن لكل نبي حواريا وحواريي الزبير"[3] [4].

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٥٣).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٩).
(٣) صحيح البخاري (٤/ ٢٧) و صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٩).
(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦).

وأما عن سبب استنصاره فيبينه ابن الجوزي – رحمه الله – بقوله: "واختلفوا في سبب استنصاره بالحواريين، فقال مجاهد: لما كفر به قومه، وأرادوا قتله، استنصر الحواريّين. وقال غيره: لما كفر به قومه، وأخرجوه من قريتهم، استنصر الحواريين. وقيل: استنصرهم، لإقامة الحق، وإظهار الحجة"(١).

قال السعدي – رحمه الله – : "رأى منهم عدم الانقياد له، وقالوا هذا سحر مبين، وهموا بقتله وسعوا في ذلك ﴿قال من أنصاري إلى الله﴾ من يعاونني ويقوم معي بنصرة دين الله ﴿قال الحواريون﴾ وهم الأنصار ﴿نحن أنصار الله﴾ أي: انتدبوا معه وقاموا بذلك.

وقالوا: ﴿آمنا بالله﴾ ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ أي: الشهادة النافعة، وهي الشهادة بتوحيد الله وتصديق رسوله مع القيام بذلك، فلما قاموا مع عيسى بنصر دين الله وإقامة شرعه آمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة، فاقتتلت الطائفتان فأيد الله الذين آمنوا بنصره على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، فلهذا قال تعالى هنا ﴿ومكروا﴾ أي: الكفار بإرادة قتل نبي الله وإطفاء نوره ﴿ومكر الله﴾ بهم جزاء لهم على مكرهم ﴿والله خير الماكرين﴾ رد الله كيدهم في نحورهم، فانقلبوا خاسرين (٢). فكف الله بني إسرائيل عن نبيه عيسى عليه السلام بالأنصار، وبين الحكمة من قصته مع الأنصار لأمة محمد ﷺ.

قال الشنقيطي – رحمه الله – : لم يبين هنا الحكمة في ذكر قصة الحواريين مع عيسى، ولكنه بين في سورة «الصف» أن حكمة ذكر قصتهم هي أن تتأسى بهم أمة محمد ﷺ في نصرة الله ودينه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ الآية" (٣).

(١) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٨٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ١٣٢).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٢٠١).

المبحث الرابع: كفايته له بالوجاهة وعظم القدر.

جعل الله لنبيه عيسى عليه السلام المنزلة الرفيعة، وعظيم القدر بين الخلق، وكان هذا من كفاية الله له، فقال سبحانه: ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ آل عمران: ٤٥ فقال الطبري – رحمه الله – : يعني بقوله ﴿وَجِيهًا﴾: ذا وجه ومنزلة عالية عند الله وشرف وكرامة، ومنه يقال للرجل الذي يشرف وتعظمه الملوك والناس: وجيه [١].

وقال ابن كثير – رحمه الله – : " ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا، بما يوحيه الله إليه من الشريعة، وينزل عليه من الكتاب، وغير ذلك مما منحه به، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه، أسوة بإخوانه من أولي العزم، صلوات الله عليهم [٢]. فهو ذا جاه في الدنيا وله منزلة فى الآخرة" [٣].

قال البغوي – رحمه الله – : "فقوله: ﴿وَجِيهًا﴾ أي شريفا رفيعا ذا جاه وقدر ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله" [٤].

قال الطبري – رحمه الله – : "وممن يقربه الله يوم القيامة، فيسكنه في جواره، ويدنيه منه"[٥].

وتأمل ما قاله الشوكاني – رحمه الله – في معنى الوجاهة: والوجيه: "ذو الوجاهة، وهي: القوة والمنعة، ووجاهته في الدنيا النبوة، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة" [٦].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٤١٠).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣).
(٣) تفسير السمرقندي (١/ ٢١٣).
(٤) تفسير البغوي (٣/ ٤١).
(٥) تفسير الطبري (٥/ ٤١١).
(٦) فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٩١).

وهذا من كفاية الله له أن جعل له منعة وقوة في الدنيا.

قال السعدي – رحمه الله – : " ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي: له الوجاهة العظيمة في الدنيا، جعله الله أحد أولي العزم من المرسلين أصحاب الشرائع الكبار والأتباع، ونشر الله له من الذكر ما ملأ ما بين المشرق والمغرب، وفي الآخرة وجيها عند الله يشفع أسوة إخوانه من النبيين والمرسلين، ويظهر فضله على أكثر العالمين، فلهذا كان من المقربين إلى الله، أقرب الخلق إلى ربهم، بل هو عليه السلام من سادات المقربين" (١).

وعن سبب اختصاص الوجه عن سائر الأعضاء، وسبب هذا الوجاهة:

فيقول ابن عادل الحنبلي – رحمه الله – : «وَجِيهاً» اشتقاقه من الوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء. والجاه مقلوب منه، فوزنه «عَفل».

قوله: ﴿فِي الدنيا﴾ متعلق ب ﴿وجِيهاً﴾؛ لما فيه من معنى الْفِعْلِ، ومعنى كونه ﴿وَجِيهاً فِي الدنيا﴾ بسبب النبوة، و «في الآخرة» بسبب عُلُوِّ المنزلة.

وقوله: ﴿فِي الدنيا﴾ بأنه مُسْتَجَاب الدعاء، ويُحْيي الموتى، ويُبْرِئ الأكمه والأبْرَصَ بدعائه، (وفي الآخرة) بأنه يشفع في المُحِقّين من أمته.

وقيل: ﴿في الدنيا﴾؛ لأنه مبرأٌ من العيوب التي وَصَفَتْه اليهودُ بها، ﴿وفي الآخرة﴾ بكثرة ثوابه وعُلُوِّ درجته. فإن قيل: كيف كان وجيهاً في الدنيا، واليهود عاملوه بما عاملوه؟

والجوابُ: أنه – تعالى – سمَّى موسى – عليه السلام – بالوجيه، مع أن اليهودَ طعنوا فيه، وآذَوْهُ إلى أن برأه اللهُ مما قالوا، ولم يقدح ذلك في وجاهته، فكذا هنا.

قوله: ﴿وَمِنَ المقَرَّبِينَ﴾ قيل «كان هذا مَدْحاً عظيماً للملائكة؛ لأنه أَلْحَقَه بمثل مَنْزِلَتِهِمْ، وهو دليل لمن جعل الملائكة أفضل. وقيل: معناه: سيُرْفَع إلى

(١) تفسير السعدي (ص: ١٣١).

السماء بمصاحبة الْمَلاَئِكَةِ.

وقيل: ليس كل وجيه في الآخرة يكون مُقَرَّباً؛ لأن أهل الجنة تتفاوت درجاتُهم"[1].

فقد كان عيسى الله عليه الصلاة والسلام وجيها كريما، محبا، مقبولا، لا يرد وجهه عند الناس في الدنيا، وهو في الآخرة من المقربين عند ربه يوم القيامة، وكونه من المقربين، رفع إلى السماء وصحبته الملائكة [2]. وأعلم تعالى أن ثم مقربين، وأن عيسى منهم"[3].

قال السعدي †: "له الوجاهة، والجاه العظيم في الدنيا والآخرة عند الخلق. ومع ذلك فهو– عند الله– من المقربين، الذين هم أقرب الخلائق إلى الله، وأعلاهم درجة، وهذه بشارة لا يشبهها شيء من البشارات"[4].

وهذا التأييد بالجاه من كفاية الله لنبيه صلوات الله وسلامه عليه.

* * *

(١) اللباب في علوم الكتاب (٥/ ٢٢٩) وقد ذكره الرازي قبله وأطال في تفسير الرازي (٨/ ٢٢٣) فليراجع لمن أراد الاستزادة.

(٢) ينظر ما نقله أبو حيان في تفسيره البحر المحيط (٣/ ١٥٤– ١٥٥) عن بعض المفسرين.

(٣) البحر المحيط في التفسير (٣/ ١٥٥).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٩٦٧).

المبحث الخامس: كفايته له بالحفظ من الكيد والقتل وبالرفع والتطهير.

بين الله عادة بني إسرائيل مع أنبيائهم، فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ البقرة: ٨٧

ففي هذه الآية: " يمتن تعالى على بني إسرائيل أن أرسل لهم كليمه موسى، وآتاه التوراة، ثم تابع من بعده بالرسل الذين يحكمون بالتوراة، إلى أن ختم أنبياءهم بعيسى ابن مريم عليه السلام، وآتاه من الآيات البينات ما يؤمن على مثله البشر، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ أي: قواه الله بروح القدس. قال أكثر المفسرين: إنه جبريل عليه السلام، وقيل: إنه الإيمان الذي يؤيد الله به عباده. ثم مع هذه النعم التي لا يقدر قدرها، لما أتوكم ﴿بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان بهم، ﴿فَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ فقدمتم الهوى على الهدى، وآثرتم الدنيا على الآخرة، وفيها من التوبيخ والتشديد ما لا يخفى " (١).

وذكر ابن كثير – رحمه الله – : "أن الله ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم، فجاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام، ولهذا أعطاه الله من البينات، وهي: المعجزات. من إحياء الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا بإذن الله، وإبرائه الأسقام، وإخباره بالغيوب، وتأييده بروح القدس، وهو جبريل عليه السلام –ما يدلهم على صدقه فيما جاءهم به. فاشتد تكذيب بني إسرائيل له وحسدهم وعنادهم لمخالفة التوراة في البعض، كما قال تعالى إخبارا عن عيسى: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٥٠]. فكانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء عليهم السلام أسوأ المعاملة، ففريقا

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٨).

يكذبونه. وفريقا يقتلونه، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم وبإلزامهم بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها، فلهذا كان يشق ذلك عليهم، فيكذبونهم، وربما قتلوا بعضهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ [1]. ومن الفريق المكذبين: عيسى ومحمد، ومن الفريق المقتولين: يحيى وزكريا[2]. فهذه عادة لبني إسرائيل لا يتركونها، فعيسى عليه السلام يأتيهم بالبينات، وهذه الآية البينات تشمل الآيات الشرعية، كالشريعة التي جاء بها؛ والآيات القدرية الكونية، كإحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم بإذن الله [3].

فقابلوا عيسى عليه السلام بالأمرين بالتكذيب ومحاولة قتله فكفاه الله عز وجل.

قال ابن عاشور – رحمه الله – : ثم لما استفاقوا وأجمعوا أمرهم على قتله عصمه الله منهم فرفعه إليه ولم يظفروا به، وماتت نفوسهم بغيظها [4].

قال تعالى:﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم ﴾ المائدة: ١١٠

قال مقاتل بن سليمان – رحمه الله – : وإذ كففت بني إسرائيل عنك أي: عن قتلك إذ جئتهم بالبينات [5]. وقال الطبري – رحمه الله – : واذكر أيضا نعمتي عليك، بكفي عنك بني إسرائيل إذ كففتهم عنك وقد هموا بقتلك، إذ جئتهم بالبينات يقول: إذ جئتهم بالأدلة والأعلام المعجزة على نبوتك وحقية ما أرسلتك به إليهم ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾، يقول تعالى ذكره: فقال الذين جحدوا نبوتك وكذبوك من بني إسرائيل: إن هذا إلا سحر مبين [6].

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢١).
(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ١٣٠).
(٣) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٨١).
(٤) التحرير والتنوير (٧/ ١٠٢).
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١٦).
(٦) تفسير الطبري (٩/ ١١٥).

والله كاف عباده، وقد كف عيسى عليه السلام بأمور، ذكرها الراغب الأصفهاني: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ﴾ فإن في هذين قد شارك المسيح غيره. وكف بني إسرائيل عنه قد كان من بعضهم بالعصمة، ومن بعضهم بالحجة، ومن بعضهم بتسخيرهم له وائقيادهمْ إلى غير ذلك من الوجوه"(١).

قال ابن كثير – رحمه الله – : "واذكر نعمتي عليك في كفي إياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله إليهم، فكذبوك واتهموك بأنك ساحر، وسعوا في قتلك وصلبك، فنجيتك منهم، ورفعتك إلي، وطهرتك من دنسهم، وكفيتك شرهم. وهذا يدل على أن هذا الامتنان كان من الله إليه بعد رفعه إلى السماء الدنيا، أو يكون هذا الامتنان واقعا يوم القيامة، وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة. وهذا من أسرار الغيوب التي أطلع الله عليها رسوله محمدا ﷺ"(٢).

فهذه مِنَنٌ امتَنَّ الله بها على عبده ورسوله عيسى ابن مريم ودعاه إلى شكرها والقيام بها فقام بها عليه السلام أتم القيام وصبر كما صبر إخوانه من أولي العزم (٣).

قال الشنقيطي – رحمه الله – : قوله تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾ الآية، لم يذكر هنا كيفية كفه إياهم عنه، ولكنه بينه في مواضع أخر، كقوله: ﴿وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾، وقوله: ﴿وَمَاقَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾ النساء: ١٥٧ - ١٥٨، وقوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، إلى غير ذلك من الآيات"(٤).

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (٥/ ٤٩١– ٤٩٢).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٤).
(٣) تفسير السعدي (ص: ٢٤٨).
(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٤٦٧).

ففي هذه الآية ذكر الله الكفاية ولم يذكر الكيفية، وهو مما حاولت ذكره في هذا البحث مما ذكره الله في القرآن من كفايته لنبيه عيسى عليه السلام، ومن ذلكم إلقاء الشبه على من قتله بنو إسرائيل، فقال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ النساء: ١٥٧ - ١٥٨

قال السمعاني – رحمه الله – : "قيل: إن الله – تعالى – ألقى شبه عيسى على الذي دلهم عليه؛ فقتلوه وقيل: إنهم كانوا حبسوا عيسى في بيت، وجعلوا عليه رقيبا، فألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب؛ فقتلوه، وقيل: إنهم ما كانوا يعرفون عيسى بعينه، وكانوا يعرفونه باسمه، وكانوا يطلبونه؛ فقال لهم يهوذا – وهو واحد من أصحاب عيسى –: أعطوني شيئا، أدلكم على عيسى؛ فأعطوه ثلاثين درهما؛ فدلهم على غيره، فقتلوا ذلك الغير؛ فهذا قوله: ﴿ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾، ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ﴾ وذلك أن الرجل الذي قتلوه على ظن أنه عيسى، كان يشبهه بوجهه، ولا يشبهه بجسده، فوقع فيهم الاختلاف، فقال بعضهم: الذي قتلناه كان عيسى، وقال بعضهم: لم يكن عيسى. وقيل: هو الاختلاف بين علمائهم، وأغتامهم؛ فإن علماءهم كانوا يعلمون أنهم لم يصلبوا عيسى وكان عند جهالهم وأغتامهم أنهم قتلوا عيسى، ﴿ وَما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ يعنى: من حقيقة علم ﴿ إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ قال ابن الأنباري: قوله: ﴿ وَما قَتَلُوهُ ﴾ كلام تام، وقوله: ﴿يَقِيناً﴾ راجع إلى ما بعد، وتقديره: "بل رفعه الله إليه يقينا"[1].

قال السعدي – رحمه الله – : "فرفع الله عبده ورسوله عيسى إليه، وألقي

(١) تفسير السمعاني (١/ ٤٩٩).

شبهه على غيره، فأخذوا من ألقي شبهه عليه فقتلوه وصلبوه، وباءوا بالإثم العظيم بنيتهم أنه رسول الله، قال الله ﴿وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ وفي هذه الآية دليل على علو الله تعالى واستوائه على عرشه حقيقة، كما دلت على ذلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تلقاها أهل السنة بالقبول والإيمان والتسليم، وكان الله عزيزا قويا قاهرا، ومن عزته أن كف بني إسرائيل بعد عزمهم الجازم وعدم المانع لهم عن قتل عيسى عليه السلام، كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ حكيم يضع الأشياء مواضعها، وله أعظم حكمة في إلقاء الشبه على بني إسرائيل، فوقعوا في الشبه كما قال تعالى ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾ (١).

وكفاه أيضا بالتطهير فقد أخبر سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ آل عمران: ٥٥

قال الماوردي – رحمه الله – (٢): ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن تطهيره منهم هو منعهم من قتله. الثاني: أنه إخراجه من بينهم.

﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فيه تأويلان: أحدهما: فوقهم بالبرهان والحجة. والثاني: بالعز والغلبة. وفي المعنيّ بذلك قولان:

أحدهما: أنَّ الذين آمنوا به فوق الذين كذّبوه وكذَبوا عليه. **والثاني:** أنَّ النصارى فوق اليهود؛ لأن النصارى أعز واليهود أذل ، وفي هذا دليل على أنه لا يكون مملكة إلى يوم القيامة بخلاف الروم.

(١) تفسير السعدي (ص: ١٣٢).

(٢) تفسير الماوردي (١/ ٣٩٧ – ٣٩٨).

وقد كف الله نبيه عيسى عليه السلام من القتل ورفعه إليه وطهره من الذين كفروا من بني إسرائيل، والذي لم يسلم من أذاهم خير خلق الله أجمعين نبي الهدى وسيد الخلق أجمعين محمد ﷺ.

قال محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – : ثم إن بعض العلماء أبدى فيها نكتة: وهي أن هؤلاء اليهود استمر قتلهم الرسل حتى آخرهم محمد ﷺ فإنهم قتلوا الرسول ﷺ بالسم الذي وضعوه له في خيبر؛ فإنه ﷺ ما زال يتأثر منه حتى إنه ﷺ في مرض موته قال: "ما زالت أكلة خيبر تعاودني، وهذا أوان انقطاع الأبهر مني" (١)؛ قال الزهري: إن النبي صلى الله عليه وسلم مات شهيداً؛ لأن اليهود تسببوا في قتله؛ وهذا ليس ببعيد أن يكون هذا من أسرار التعبير بالمضارع في القتل؛ وإن كان قد يَرِدُ عليه أن التكذيب استمر حتى زمن الرسول ﷺ فلماذا لم يقل: "فريقاً تكذبون وفريقاً تقتلون" والجواب عن هذا أن القتل أشد من التكذيب؛ فعبر عنه بالمضارع المستمر إلى آخر الرسل..

فإن قيل: كيف يصح قول الزهري: إن النبي صلى الله عليه وسلم مات شهيداً ؛ لأن اليهود كانوا سبباً في قتله، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾.

فالجواب: المراد بقوله تعالى: ﴿ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾: حال التبليغ؛ أي بلغ وأنت في حال تبليغك معصوم، ولهذا لم يعتد عليه أحد أبداً في حال تبليغه، فقتله" (٢).

(١) مسند أحمد (٣٩/ ٣٥٦)، وسنن أبي داود (٤/ ١٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٩٨٤) عند [ابن السني أبي نعيم في الطب] عن أبي هريرة. وأخرجه البخاري معلقًا عن عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري (٦/ ٩).

(٢) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٨٣-٢٨٤).

الخاتمة

توصل الباحث في نهاية البحث إلى النتائج التالية:

١– كفاية الله تعالى لأنبيائه وأوليائه، لها حكم كثيرة، منها: لطفه بأنبيائه وأوليائه. ومنها: إتمام أمره – سبحانه وتعالى – في تبليغهم لدينه وشرعه، لا يتم ذلك إلا بتلك الكفاية.

٢– أن كفاية الله عباده تكون بتحقيق ما يحتاجون ويضطرون إليه.

٣– أن كفاية الله للعبد نعمة من نعمه العظيمة التي تستحق الشكر.

٤– أهمية كفاية الله لأنبيائه وارتباط ذلك بتبليغ الإسلام.

٥– كفاية الله تعالى تستلزم اليقين والتوكل على الله جل وعلا وتستلزم عدم الخوف من الشيطان وأوليائه وحزبه.

٦– أن الله تعالى كفى نبيه عيسى ﷺ بأنواع من الكفايات منها: كفايته وأمه من البهتان العظيم بعد ولادته، وكفايته بالبيانات، وكفايته له بروح القدس وبالأنصار، وكفايته له بالوجاهة وعظم القدر، وكفايته له بالحفظ من الكيد والقتل، وكفايته له بالرفع والتطهير.

٧– أن كفاية الله تعالى لأنبيائه ومنهم عيسى عليه السلام تعود في أنواعها إلى ضربين:

الأول: دفعه شر أعدائهم.

الثاني: تأييدهم بما يعضد دعوتهم ويقوي مواقفهم.

٨– أن الله تعالى كفى عيسى عليه السلام شر قومه؛ برفعه إليه لما أرادوا قتله؛ لحكمة أنه عليه السلام علم للساعة، وهو مصير مختلف عن أنبياء آخرين كيحيى بن زكريا عليه السلام، الذين نالهم القتل، وكل ذلك لحكم أرادها الله تعالى – سبحانه وتعالى –. فهؤلاء الرسل الذين قتلهم بنو إسرائيل قد

بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، ثم شاء الله لهم الشهادة، ولقومهم الإثم والندامة.

٩- أن الآيات التي تحدثت عن كفاية الله تعالى لعيسى عليه السلام تحمل معاني المن من الله تعالى وهو المنان، وهي تذكير لكل مؤمن بنعمة الله تعالى في حفظ الأنبياء والرسالات.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

٢- تفسير ابن عاشور: التحرير والتنوير: «تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد، بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٣- تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٤- تفسير أبي حيان: البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر– بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٥- تفسير البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق: عثمان جمعة ضميرة، الناشر: دار طيبة –بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ.

٦- تفسير السمرقندي: بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد وزكريا عبد المجيد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٧- تفسير السمعاني: تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد المروزى السمعاني الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٨- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٩- تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

١٠- تفسير العثيمين تفسير الفاتحة والبقرة: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ القرآن وغريب القرآن

١١- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩هـ.

١٢- التفسير الكبير: مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

١٣- تفسير الماوردي: النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

١٤- تفسير عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: سنة ١٤١٩هـ.

١٥- تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٣هـ.

١٦- توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلوُغ المَرَام المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (المتوفى: ١٤٢٣هـ) الناشر: مكتَبة الأسدي، مكّة المكرّمة الطبعة: الخامِسَة، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م

١٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

١٨- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

١٩- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٢٠- شأن الدعاء: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ) المحقق: أحمد يوسف الدّقاق الناشر: دار الثقافة العربية الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م الثالثة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٢١- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

٢٢- صحيح الجامع الصغير وزياداته: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

٢٣- صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٤- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

٢٥- القواعد الحسان لتفسير القرآن المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) الناشر: مكتبة الرشد، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

٢٦- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد

الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٢٧- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

٢٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٢٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت

٣٠- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣١- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة الأولى: – ١٤١٢هـ.